

ما هو (حيوان كورونا) الذي يربع العالم؟¹

محمد طاهر

محرر في موقع الاندبندنت عربية



في عز أزمة تفشي "متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد" القاتلة في الصين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٣، والمعروفة باسم "سارس"، عكف الباحثون بحثاً وتفتيشاً وراء الأصل الحيواني للفيروس المتسبب بهذه المتلازمة التي تتضمن سلالة مختلفة من فيروس كورونا. وقد عثر الباحثون على ضالتهم في نهاية المطاف لدى "قط الزباد"، وهو حيوان ثديي صغير من عائلة السنوريات، مطلوب بشدة في الصين بسبب طعم لحمه المحبب لدى العامة. يمتلك العديد من الحيوانات قدرة نقل الفيروسات إلى أنواع أخرى ومنها البشر. وقد نشأت جميع سلالات "الفيروسات التاجية" (ومن بينها كورونا) المعدية للبشر وتطورت في المناطق البرية. ومن المعروف أن الخفافيش تحمل أحدث سلالة من فيروس كورونا؛ فقد أظهر تحليل جيني حديث أن السلالة الفيروسية المنتشرة حالياً بين

¹ نقلا عن مجلة إنديبندنت عربية، ١٥-٢-٢٠٢٠، رابط

البشر مماثلة لتلك الموجودة لدى الخفافيش بنسبة ٩٦٪. لكن وفقاً لأرنو فونتانيت، الباحث في معهد باستور الفرنسي، فإن المرض "لم ينتقل مباشرة من الخفافيش إلى البشر، بل إن ثمة حيواناً آخر لعب دور الوسيط".

الحلقة المفقودة

وقد أظهر العديد من الدراسات أن هذا الفيروس الخفاشي المنشأ، يفتقر إلى "التجهيزات" اللازمة لتثبيت نفسه على مستقبلات الخلايا البشرية، وأنه لإنجاز ذلك التثبيت فإنه يتعين عليه الانتقال عبر نوع آخر مُتكيّف مع البشر، وأنه لا يزال من غير الواضح نوع الحيوان الذي لعب دور "الحلقة المفقودة" في مساعدة فيروس الخفاش على التسلسل إلى الخلايا البشرية. ويعتقد فونتانيت أن "ثمة مؤشرات قوية أن يكون الوسيط حيواناً ثديياً، وأن يكون هذا الثديي منتصباً إلى عائلة حيوان الغرير".

وإثر اختبارات أُجريت على أكثر من ألف عينة تعود لحيوانات برية، تبين لعلماء من "جامعة جنوب الصين الزراعية" أن تسلسل جينوم الفيروسات في حيوان "البنغول" (وهو ثديي صغير بحجم قطة يواجه خطر الانقراض) تتطابق بنسبة ٩٩٪ مع تلك التي عُثر عليها لدى المصابين بفيروس كورونا. لكن خبراء آخرين دعوا إلى توخي الحذر، وقال جيمس وود، رئيس قسم الطب البيطري بجامعة كامبريدج "إن القفز إلى هذا الاستنتاج ليس أسلوباً علمياً. فالتحقيقات الدائرة حول الحيوانات المستودعة للفيروس مهمة ودقيقة للغاية، ويجب نشر نتائجها فوراً ليتم التحقيق فيها على مستوى مختبرات العالم".

ولتحديد هوية الحيوان الجاني بشكل قاطع، يحتاج الباحثون إلى معرفة كل الأنواع التي كانت معروضة للبيع في "سوق الحياة البرية" في ووهان الصينية التي يعتقد أنها تشكل نقطة انطلاق الوباء، وهو أمر شبه مستحيل نظراً لأنه مغلق الآن بشكل تام. صحيح أنه تم العثور على الفيروس لدى الأشخاص المرتبطين بالسوق، وفي بيئة السوق (على أسطح الرفوف على سبيل المثال أو داخل أقفاص الحيوانات)، إلا أن بعض حالات الإصابة المبكرة، بما في ذلك ما يُشتبه بأنه أول حالة تم الإبلاغ عنها، كانت لأشخاص غير مرتبطين بالسوق. ويقول الدكتور جون إيشتاين، نائب الرئيس للعلوم والتواصل في منظمة "إيكو هيلث أليانس" العلمية البحثية التي لا تهدف للربح، إن هذه المؤشرات تعني أن الانتقال الأول، من الحيوانات إلى البشر، ربما لم يحدث في السوق. فقد يكون أشخاص أصيبوا بالفيروس من حيوانات أخرى في مكان آخر في وقت سابق، قد نقلوه إلى السوق ومن ثم إلى أشخاص آخرين.

وما زاد الطين بلة في هذا الإطار، أن السلطات الصينية تخلصت على وجه السرعة من حيوانات سوق ووهان، رغم ورود تقارير ميدانية تعود لفرق بيطرية تفيد بأن العديد من تلك الحيوانات قد أثبتت أنها سليمة. ويقول الدكتور إيبشتاين إن "الحيوانات التي كانت في السوق تمثل الصندوق الأسود لحل هذه المعضلة"، مشيراً إلى أن المقابلات مع الأشخاص الذين كانوا على اتصال مع الحيوانات المضيفة ضرورية كذلك للعثور على مصدر الفيروس.

فيروسان متحdan

وقد أثار فضول الخبراء خلال تحقيقاتهم، تقرير علمي سبق تفشي الوباء، ذكر فيه أن البنغول يمكن أن يكون مصدراً محتملاً لعدوى فيروس كورونا. إذ نشر باحثون صينيون في أكتوبر الماضي -أي قبل ثلاثة أشهر على تفشي الفيروس- تقريراً يوثق قدرة البنغول على استضافة مجموعة متنوعة من فيروسات كورونا. إضافة إلى ذلك، رجّح بحث آخر نشر سابقاً على موقع "Virological" المتخصص، إمكانية اتحاد فيروس كورونا لدى الخفافيش مع آخر مماثل لدى البنغول لتكوين فيروس خارق جديد.

ويقول جوزيف بتروسينو، الباحث في كلية بايلور للطب، إن تحليل بيانات الأبحاث المنشورة بما في ذلك التقرير الذي نشر في أكتوبر الماضي، يفيد بأن جزءاً من فيروس كورونا لدى البنغول كان مطابقاً تقريباً لجزء من الفيروس الجديد. ويتضمن هذا الجزء الطريقة التي يغزو بها الفيروس الجديد الخلايا البشرية. لذلك، تم ترجيح الفرضية القائلة بأن فيروس الخفافيش وفيروس البنغول قد اتحدا، داخل جسم البنغول في البرية.

وعلى الرغم من فوات أوان استئصال الحيوان الناقل لفيروس كورونا الجديد، إلا أن من شأن معرفة نوعه أن يمنع نشوب حالات تفشٍ جديدة في المستقبل. فعلى سبيل المثال، حظرت الصين بيع "قط الزباد" كغذاء في أعقاب انتشار وباء "سارس". ويقول إيريك ليروي، عالم الفيروسات والطبيب البيطري، إن معرفة نوع الحيوان سيؤدي إلى نتائج علاجية سريعة وفعالة كما حدث مع "قط الزباد" المستودع لفيروس "سارس"، وإلا فقد يستغرق القضاء على كورونا الجديد سنوات.

وبالنسبة لفونتانيت، فإن كورونا الجديد هو أحدث مثال على العواقب الوخيمة التي قد تصيب البشر الذين يستهلكون الحيوانات البرية الحاملة للفيروسات. ويقول إن الصين بحاجة إلى "اتخاذ تدابير جذرية حاسمة لحظر بيع الحيوانات البرية في الأسواق". صحيح أن السلطات الصينية تحظر هذه الممارسات، لكنها لم تتحرك فعلياً على الأرض إلا الشهر الماضي، عندما انفلت الفيروس من عقاله وأصبح خارج نطاق السيطرة.

حراشف طبية

يُعدّ لحم البنغول من الأطعمة الشهية لدى بعض سكان فيتنام والصين. لكن الطلب على حراشفه هو ما يستنزف أعداده ويهدد بقاءه. إذ تُجفّف حراشف البنغول ثم تُسحق لتحول على شكل أقراص لمجموعة من العلاجات الصينية التقليدية، من درّ الحليب لدى الأمهات المرضعات إلى تخفيف ألم التهاب المفاصل والروماتيزم. ويمكن العثور على الحراشف في أسواق الأدوية بجميع أنحاء آسيا. وفي الصين، حيث تستمر الحكومة في ترخيص مثل هذه العلاجات، تنتج أكثر من ٢٠٠ شركة زهاء ٦٠ نوعاً من الأدوية التقليدية التي تحوي حراشف البنغول. وفي كل عام، تُصدر الأقاليم الصينية مجتمعةً تراخيص للشركات باستخدام ما معدله ٢٦.٦ طن من الحراشف، تمثل ما يقارب ٧٣ ألف بنغول. وتُفيد بعض التقارير أن الصيد الجائر جعل البنغول الصيني حيواناً نادر الوجود منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي. المثير في الموضوع أن الطب الغربي لم يكتشف حتى الآن أي دليل على أن حراشف البنغول، والتي تتكون من الكيراتين -المادة نفسها التي تشكل الأظافر والشعر- أي آثار فيزيولوجية على البشر. وحسب "ترافيك"، وهي منظمة غير حكومية تُعنى برصد الاتجار الدولي بالحيوانات والنباتات البرية، تم صيد ما يقدر بمليون بنغول بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١٣ من أجل حراشفها التي تُستخدم في الطب التقليدي. وتعد جميع أنواع البنغول الثمانية، أربعة في إفريقيا ومثلها في آسيا، معرضة لخطر الانقراض بسبب الاتجار غير القانوني بها. ويقول علماء الأحياء إنه إذا اختفى البنغول فلن يتبقى شيء مثله على كوكب الأرض. وقد تم حظر الاتجار الدولي بأنواع البنغولين الآسيوية الأربعة منذ عام ٢٠٠٠. وفي عام ٢٠١٧، بدأ سريان الحظر على الاتجار الدولي بجميع الأنواع الثمانية؛ إذ صوتت عليه ١٨٣ حكومة من الدول الأطراف في "اتفاقية الاتجار الدولي بالحيوانات والنباتات المعرضة للانقراض"، وهي معاهدة تُعرف اختصاراً باسم "سايتس".

وقد وجد حماة الحياة البرية في أزمة كورونا فرصة لإنقاذ حيوان البنغول المعرض لخطر الانقراض. إذ ساهم بعض أنصار حقوق الحيوان في نشر الشائعات المتعلقة بنقله لفيروس كورونا. لكن العلماء والخبراء المعنيين حذروا من أن الترويج لهكذا شائعات يصب الزيت على نار حالة الارتباك السائدة حالياً في كافة أنحاء العالم، وأن استخدام هذا الأسلوب لإنقاذ البنغول هو تصرف غير أخلاقي في مثل هكذا توقيت. بالإجمال ليس واضحاً مدى "استفادة" البنغول من هذه المعلومة إذا ما ثبت فعلاً أنه مضيف فيروسي، فقد يرتد الأمر عليه ويتم استئصال وجوده في ما تبقى من ملاذات في البرية. البنغول الذي تسبب بإرعاب سكان الكوكب بسبب نقله للفيروس المميت خائف، فهل يدفع ثمن خوفنا في زمن الكورونا؟